الأساليب البلاغية الداعمة لطاقات الكلام الحجاجية في الشعر الجاهلي في الحرب (كتاب أيام العرب لأبي عبيدة أنموذجا)

عباس العميري

ماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان إيران

د . سمية حسنعليان (الكاتبة المسؤولة)

أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان إيران

Rhetorical methods supporting the argumentative energies of speech in pre-Islamic poetry in war (Abu Ubaidah's book "Days of the Arabs" as a model)

Abbas Al-Amiri

MA , Department of Arabic Language and Literature , University of Isfahan , Iran

Dr. Somaya Hassanalyan (Responsible writer)

Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Isfahan , Iran

s.hasanaliian@fgn.ui.ac.ir

ملخص:

يقع هذا البحث في دائرة البحوث التي تُقارب نصّاً أدبيّاً حجاجيّاً ، وبسبب المفارقة بين الأدب والحجاج، كان البحث هذا ليضع الخطاب الشعري الذي طُبع على التخييل في موضع موازٍ للخطاب العادي؛ وذلك بالبحث في مُوجهات الإقناع في الخطاب الشعري بما فيه من خصوصية. وكان النظر في هذا البحث بمنهج وصفي تحليلي في شعر الحرب في كتاب أبي عبيدة الموسوم ب"أيام الحرب" من منظور حجاجي؛ حيث وقف عبيدة محاجًّا أمام معارض كبير هو مجتمعه، وسخر لأجل تلك المواجهة كل ما استطاعه من سبل، بما فيها: إمكانات اللغة الحِجَاجية وبناء على ذلك: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الموجهات الحِجَاجية في شعر الحرب، ومدى مساهمتها في تحديد شكل الحِجَاج، ومدى تأثرها بالسمات الشخصية للصعلوك. ومن أهم نتائج البحث أن الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية بهدف الإقناع ضمناً. تنقسم آليات الإقناع في أشعار الحرب إلى قسمين: أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، والقسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية.

الكلمات المفتاحية : الشعر الجاهلي ، الأساليب البلاغية ، الحجاج ، كتاب «أيام العرب» ، أبو عبيدة .

Abstract:

This research falls within the scope of research that approaches argumentative literary texts. Due to the paradox between literature and argumentation, this research sought to place poetic discourse, which is imaginative, in a position parallel to ordinary discourse. This research explores the persuasive drivers of poetic discourse, including its specificities. This research, using a descriptive-analytical approach, examines war poetry in Abu Ubaidah's book "Days of War" from an argumentative perspective. Ubaidah argued against a major opponent, his own society, and utilized every means at his disposal to confront this challenge, including the potential of argumentative language. Accordingly, this research aims to uncover the argumentative drivers in war poetry, the extent to which they contribute to determining the form of argumentation, and the extent to which they are influenced by the personal characteristics of the vagabond. One of the most important findings of the research is that the persuasive function is one of the most important functions of rhetoric, in addition to the interpretive function, which aims to implicitly persuade. The mechanisms of persuasion in war poetry are divided into two categories: one is non-linguistic signs, whether they accompany verbalization or not, and the other is the practice of discourse in a manner appropriate to mental activity, embodied by the use of natural language as the primary sign.

Key words : Pre-Islamic poetry , rhetorical methods , argumentation , "The Days of the Arabs ," Abu Ubaidah .

1. المقدمة :

مع أنّه يقول الكثير من الباحثين إلى التعارض الذاتي بين الحجاج واللغة الشعرية، لقوام الحجاج على المعرفة المبتذلة الشائعة وبالمقابل، قوام الشعر على أساس التجربة النفسية ونقاشات أخرى أجراها القدامى حول المفاصلات المفهومية القائمة بين النثر والشعر وخاصة هو الحاجز المدعو «العقل والوجدان» - فيرتبط الأول غالباً ما بالخطابة والجدل الصارم والمناظرات العلمية والآخر بالشعر وصور الخيال ولغة التعبير عن الخلجات النفسية - غير أنّه هناك من يؤمن بوجود شعر حجاجي على أن النص الأدبي لها وظيفة إقناعية أيضاً، إلى جانب نقل التجربة الفردية. فاللغة الشعرية عندهم، قد تكون في هيئة خطابة حجاجية كظاهرة لغوية غيرها، فهي منتمية إلى هيكلة اللغة مثلها. فيحمل الشعر طابعاً حجاجياً عند الجرجاني (1985: 133) مثلاً وفي أدنى مستوياته «لأنه كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد؛ فالمراد بالقصد هو الغرض الشعري أي: الناحية الجدلية، ومن الموسيقى الذاتي هو انبعاث النفوس والتزايد من قدراته الإقناعية.

ومن هذا المنطلق سلط هذا البحث الضوء على الأشعار الجاهلية في الحرب واختار كتاب أيام العرب لأبي عبيدة عينة للبحث ودراسة الأساليب البلاغية الداعمة لطاقات الكلام الحجاجية .

- **أسئلة البحث :**

حاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس التالي :

كيف يمكن للأساليب البلاغية أن تدعم طاقة القول الحِجَاجيّة، وتثبت قدرته الإقناعية؟

- **منهج البحث :**

اقتضت طبيعة البحث وخطته اختيار المنهج الوصفي التحليلي للدراسة وتحليل الأشعار ؛ كما تم الاعتماد على المنهج التَّداوليّ؛ لأن الإقناع والحجاج ضمن الدراسات التَّداوليّة .

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن عملنا هذا ليس تحليلاً نقْديًا للشعر؛ بل هو محاولة للفهم الأوضح والجلي للحجاج التَّداوليّ، وتطبيقه على الخطاب الشّعريّ في شعر الحرب في كتاب أبي عبيدة.

- **خلفية البحث :**

بالنسبة للدراسات السابقة فلابد من الذكر أنه هناك كثير من الدراسات التي تتمحور على موضوع الحجاج والمنهج التداولي والتداولية ، تكاد لا تعد ولا تحصى ولا يسع هذا المختصر ذكر جميعها . نشير إلى بعضها على سبيل المثال ولا الحصر :

- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، 2004م .
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، لصابر حباشة ، دمشق : صفحات للدراسات والنشر ، 2008م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، لحمادي صمود ، تونس : جامعة الآداب والفنون ، د . ت.

وأما بالنسبة لكتاب أبي عبيدة فلم نعثر على دراسة شاملة تركز على هذا الجانب من الكتاب وهذا المهم ما تكفلته هذه الدراسة المتواضعة .

2 . 5-2- مستويات الحجاج اللغوي والبلاغي :

جدير بالذكر أن بسبب الصلة الوثيقة القائمة بين الحجاج والبلاغة فقد يمثل الحجاج البلاغة الجديدة التي تعني بأي نوع من الخطابات الإنسانية ومنها المندمجة بالصور الخيالية والبيانية. وعليه فتنقسم البلاغة الجديدة إلى شقتين: الشعرية الخيالية والخطابة التداولية. وبالإضافة إلى أن الفعل الشعري المنتمية إلى تمثيل و محاكاة الأفعال الإنسانية أو إلى خلق الحبكات السرئية، فيبتغي أولاً إثارة المواسات لدى الجمهور كالخوف والشفقة مثلاً، فقد يتحصن الشاعر بموقف حجاجي حاد لخلق الوع المطلوب من قاعاته الشخصية، فلا يعني بمراعاة الأفكار المطلوبة من قِبَل المتلقي كما في النصوص النثرية (الفريح ،2020: 178).

فغني عن التوضيح أن الغاية الحقيقية التي تهدف إليها نظرية الحجاج هي الغاية الاقناعية التأثيرية التي تتفاعل مع الأركان الثلاثة الأصلية في الخطاب، وهي : المتكلم،

والمخاطب، والخطاب، آخذة بعين الاعتبار الأطر النفسية والاجتماعية للمتلقي من خلال أساليب إقناعية بلاغية تؤكد على عملية الإفهام واستمالة المتلقي إلى القضية المطروحة بطرق عدة من أجل الإقناع؛ ولهذا يقول ابن الأثير: «إنّ مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم لأنّه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائعة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبه لبلوغ غرض المخاطب بها.» (1939: 2/68)

إذن فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً على استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه؛ ولهذا يرى طه عبدالرحمن أنّ «الحجاج عملية حوارية إقناعية يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته ومطالبته محاورة لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوّعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور، فإذا اقتنع الغير بهذا الرأي كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به ردّه على قائله.» (2000م: 38)

وإذا كان الأدب في مجمله قائماً على البلاغة، فإن الحجاج البلاغي يظهر بشكل واضح لدى الشعراء والأدباء أصحاب المواقف الثابتة الذين تتعارض أفكارهم ومعتقداتهم مع جماعة أخرى لأنهم دائماً بحاجة للحجج والبراهين لتأييد مواقفهم. فينحدر الحجاج البلاغي من روافد كثيرة أهمها الخطابة عند أرسطو كون البلاغة أو الخطابة إنما هي قوة تتكلف الإقناع فيتوقف على ثلاثة أركان هي: كيفية المتكلم وسمته، وتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، والكلام نفسه (أرسطو، 1979م: 9 – 10). فإنّ مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه «لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائعة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها». (ابن الأثير، 1939م، ج 2: 68)

فيعد الحجاج نظرية حديثة برزت عند شايم بيرلمان، وميشال ماييير، وجان ميشال آدم، ورولان بارت، وديكرو من خلال مطالعتهم النصوص المختلفة، فيعرفه ماييير بأنه: «جهد إقناعي وبعدٌ جوهري في اللغة، لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه» (الطلبة ، ٢٠٠٨م: ١٠٣). أما بيرلمان فقد جاء بما يسمى «مدرسة البلاغة البرهانية» التي تعد بالمنظور البلاغي المستحدث، وكذلك استحدث مصطلح «البلاغة الجديدة». فنجده ومعاصريه يطورون النظرية في العصر الحديث بشكل جعلوها منسجمة أكثر مع روح العصر، ثم صنفوا الحجاج إلى أنواع (بلاغي، تداولي، فلسفي...)، وفرقوا بين المنطق والبلاغة.

فالحجاج في المنطق يعتمد مسلمات لا مجال للطعن بها، أما الحجاج البلاغي فيتبنى منهج الشك في كل شيء (بوزناشة، 2016م: 226). ووظيفة البلاغة إقناعية وليست جمالية إمتاعية فقط كما كان سائداً في البلاغة التقليدية. فالحجاج البلاغي هو «الحجاج الذي يتخذ من البلاغة مجالاً له، ويتخذها أداةً من الأدوات الحجاجيّة، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية، والأساليب الجمالية. أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معاً» (قهرماني، وتنها، 2020م: 6). وقد جعل بيرلمان الحجج في قسمين كبيرين أحدهما مبني على الوصل وهي حجج شبه منطقية وعلاقاتها تختلف (التناقض، المقارنة، التقسيم، التعدية...) ، وحجج قائمة على بنية الواقع الذي يقتنع به المتلقي ويدخل فيها الكناية والمجاز المرسل ، والحجج القائمة على إعادة بناء الواقع يدخل فيها الأمثال والشواهد والتمثيل الذي يهتم بتشابه العلاقات بين الأطراف المتباعدة، وكذلك الاستعارات، وقد جعل معها المحسنات. والقسم الثاني مبني على الفصل أي يعمد إلى الكل فيحدث فصلاً بين عناصر الموضوع ويجزئها لأهداف حجاجية (بوزناشة، 2016م: 227-234). فهناك علاقة وثيقة تربط الحجاج في البلاغة فإن البلاغة عتاد بنائي تبليغي يتوسل المبدع لعرض موضوعه، لذلك كانت الوجوه البلاغية وحدها لا تكفي للتدليل على صدق الخطاب وإيقاع التصديق، وهو ما يجعل المبدع يستشعر حاجته إلى الوسائل التي تنوع الرأي وترجحه، وفي هذا المستوى تلتقي البلاغة بالحجاج، لأن الإقناع والاستمالة يتطلبان عناصر حجاجية مثل الشاهد والحجة لتدعيم الرأي والتمثيل والترتيب والأسلوب:

فالإستعارة فذكرها أرسطو بأنها حجاجية، وتهدف إلى الإقناع، وتغير في الموقف العاطفي والفكري للمتلقي. وأما التمثيل: فهو من بين الحجج البلاغية المهمة في التأثير على عاطفة الإنسان، فيقول الجرجاني: «التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه. ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّه، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، [...] واستشار من أقصى الأفئدة صبابة» (الجرجاني، د.ت: ١٠٥). والمراد بجمال الأسلوب: فهو اللفظ الحسن للكلام، يشارك فيه بدرجة أولى علم المعاني والبيان، فعملية إقناع المرسل إليه لا تتم على مستوى العمل والتفكير وحده بل تتم على مستوى الشعور و القلب أيضاً. فالشاهد: فهو لفظ أو عبارة لها قدسية تاريخية، ما يجعلها مقبولة ومقدسة لدى المرسل إليه، وقد تكون نصا من الوحي أو بيتا شعريا أو حكمة أو مثلا متداولا ومعروفا لدى العام والخاص، كما تكون له

مكانة خاصة لدى المجتمع، بشرط أن يكون المرسل والمرسل إليه لهما نفس الرابط القدسي لهذا الشاهد. فعلم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين. ويستهدف علم البيان البحث عن كيفية تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسين الكلام وإضائة جمالية التعبير عليه. فإنّ أقطاب البلاغة العربية متمثلة في هدفين هما: الوضوح أو الارتجال، والتأثير أو النفع. فتبغى الصور البلاغية، والحجج والحجاج بدورها التأثير والاستمالة والإبانة والوضوح (مدقّن، ٢٠١٣م: ٦٧ – 68).

3. **آليات الإقناع :**

فتعد الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية فليست الوحيدة فقط. وإذا كانت البلاغة هي فن الإقناع بالخطاب، فالقاعدة الأساسية للبلاغة هي أن الخطيب الذي يخطب أو يكتب، بهدف الإقناع ضمناً. وإنه يعبر دائما عن ذاته مع أو ضد خطباء آخرين أي أن هناك دائما ارتباطا بخطابات أخرى ؛ وبهذا تستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية؛ بالرغم من تفاوتها تبعاً لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله. وتنقسم آليات الإقناع إلى قسمين:« يمثل أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، مثل الأدلة المادية على وقوع الجريمة، أو ما يصاحب التلفظ من تنغيم وإشارات جسدية وهيئة معينة. في حين يمثل القسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية» (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م: ٤٥٤). كما أن للعلامات السيميائية دوراً في الإقناع

ولـيـأتـيـنَّ عـلـيـك يـوم مـرة يبكي عليك مقنعاً لا تسمعُ

انطلاقا من كونها عناصر حجاجية، فيتواكب ما هو خطابي مع ما هو حجاجي. فإن حركات الخطيب ونبرته وتموجاته الصوتية هي عناصر محض خطابية. لكن ماذا عن الأوجه البيانية التي عادة ما تحصر البلاغة فيها وحدها؟ إن الاستعارة والمبالغة والطباق هي وسائل بلاغية من حيث إنها تساهم في الإمتاع والتأثير، ولكنها أيضا حجاجية من حيث إنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة ؛ وهناك مسوغات إستراتيجية تستعمل من أجل الإقناع:

1. أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنها تنبع من حصول الاقتناع عند المرسل إليه غالباً، لا يشوبها فرض أو قوة.

2. تمايزها من الإستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل الإستراتيجيات الإكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الإندفاع الداخلي أو الذاتي؛ فاقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه».

3. الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأن من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية فالمرسل «عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير جزأ إلى الاقتناع برأي المحاور.

4. الرغبة في تحصيل الإقناع، إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب، خصوصاً في العصر الحاضر، عندما يفضل المرسل استعمال إستراتيجية الإقناع، حتى لو كان ذا سلطة تخوله استعمال بعض الإستراتيجيات الأخرى، ومرد ذلك أن المرسل إليه قد تغيرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور، ولم يعد، بالتالي، يتقبل بعض الإستراتيجيات،كما أن إستراتيجيات دغدغة العواطف لم تعد تنطلي عليه. (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م: ٤٤٥- ٤٤٦)

4. التركيب الحجاجي في كتاب أيام العرب لأبي عبيدة :

وهو الجملة المفيدة المرادفة للكلام. فالجملة عند ابن جنّي هي الكلام «كل لفظ استقلّ بنفسه وجُنيت ثمرة معناه فهو كلام» (ابن جنّي، د.ت: 1/ 17). فإن استخدام الجمل والأساليب المختلفة أثناء الكلام – مثل التوكيد، والإلتفات، والتكرار، وغيرها – فليست الزيادة في اللفظ فقط، وإنما هي محاولة للتأثير في المقام وما ينتج عنه من طاقة حجاجية. فتأتي الأساليب الحجاجية وفق ما ذهبت به الباحثة الذارحي وزملائها (1391ش: 14 – 35) كما يلي: أسلوب التأكيد، فالشرط، فالتكرار، فالالتفات، فالتقديم والتأخير.

4. 1. الحجاج بالتأكيد :

يأتي أسلوب التأكيد لتقرير المؤكد في نفس المخاطب وإزالة الشك أو التوهم أو الغفلة عنها. ومنها التوكيد ب (إنّ واللام)، والتوكيد بالجملة الإسمية كونها تدل على الإستمرار والثبوت، والتوكيد بالقصر فيفيد تخصيص وتمكين الكلام وتقريره في الذهن دون إكراه المخاطب المنكر أحياناً على قبوله.

ويوجد التأكيد الحجاجي بالنون الثقيلة في شواهد أبي عبيدة حيث ينوه الشاعر ببسالته في ساحة الحرب ورغبته الغزيرة بأن تقتله الأيام مصرعاً حيث يبكي الحبيب على جثته وعلى وجهه البرقعة:

(أبو عبيدة، 2003م: 71)

ثم يصور مشهداً هائلاً قد رواه النابغة عن ملك سدير يحكم عليها الملك عمرو بن هند (صاحب الأخدود). فيحذر المعتدون عليها للنقمة أو النهب، مشيراً إلى مصير طرفة وكان يهوي شن الغارة عليها ويستخدم النابغة هنالك ، التأكيد المركب:

أبى القلبُ أن يهوى السدير وأهلَه ... وإن قيل عيشٌ بالسدير غريرُ

فما أنذروا الحيَّ الذي نزلوا به ... وإنّي لمن لم يأتهِ لنذيرُ

به البقُّ والحمّى وأسدٌ خفيةٌ ... وعمرو بن هندٍ يعتدي ويجورُ

(المصدر نفسه: 92)

فيذكر عن آخر يوم اللوى حيث يعد أسباب تقديس النار أو الرماد والملح عندهم مستخدماً أسلوب الحصر المؤكد ليميز ماذا اختصت بقوله:

و لا يبعد الله رب الرما ... د والملح ما ولدت خالدة

هم مطعمو الضيف شحم السنا ... ن والقاتلو الليلة الباردة

هم يكرّون صدور الرما ... ح في الخيل تطرد أو طاردة

(المصدر السابق: 263)

4. 2. الحجاج بالشرط :

يأتي أسلوب الشرط – كونه يطرح القضية وما يمكن أن ينتج عنها – ليوفر علاقة اقتضاء بين الشرط وجزائه ، ويمثل ضرباً من التلازم بين الحجة والنتيجة. فلا يسمح الخصم باستمرارية جدله أو إعادة بناء الدعاوي لافتراض وقوع الدعوى فعلاً فترتب النتيجة عليها وإثبات فساد مزاعمه.

وفي هذا المجال فيشير أبوعبيدة إلى مقاتل بشعة أجرت في بعض الحروب وهي جعل عضو منهم في غير موضعه الطبيعي رمزاً لتهجين الهجو أو نعتهم بالعقم وسوء الإنجاب. كما

فعل الشاعر الذي هجا «حذيفة» يوم جعفر الهباءة. لفعلته الشنيعة داخل القبيلة وهي قتل الأطفال فجعل نفسه في موضع العقيم. ثم وضعوا لسانه في مؤخرته أي لا حكمة له ولا عقل. فقال شاعرهم مستخدماً أسلوب الشرط مرتين في وصف ما أصابه تنكيباً عليه بعد قتله إثباتاً لفساد مزاعمه ومزاعم من ماثله:

وإنّ قتيلاً بالهباءة في استه صحيفتُه، إن عاد للظلم ظالمُ

متى تقرؤوها تهدِكم من ضلالكم وتعرِف إذا ما فضّ عنها الخواتمُ

(أبو عبيدة، 2003م: 149)

ومنه قول الشاعر يوم اللوى عن حتمية مصائر الموتى وإن كانوا صرعى الوغي:

وإن يكن القتل أفناهمُ فللموت ما تلد الوالدة

(المصدر نفسه: 263)

فيشير إلى أن يحث الشاعر قومه على القتال صوناً لأرضهم قبالة المعندين ولو بأدنى عدة ميسرة:

فإن تك في عليا هوازن شوكة تُخاف ، ففيكم حد نابٍ ومخلب

(المصدر السابق: 509)

4. 3. الحجاج بالتكرار :

أما التكرار فمن مأثور القول: إن الشيئ إذا تكرر، تقرر. فالتكرار هو الذي يدعم الطاقة الحجاجية في الدليل والبرهان بحيث يستبقي وقعه في القلوب .يشدد من أمره مقابل دحض الضد. فيحقق ثلاثة أغراض رئيسية وهي: التوكيد، وتماسك النص ووحدته الموضوعية ، والإيقاع المؤثر في النفس.

فيشير أبو عبيدة إلى وصف بالغ الروعة لجرير حيث يتحسر على فقدان قائد باسل يدعى «بسطام بن قيس» لأنه كان يسوق أعمدة من الجيوش المجاشعين في الأودية الوعرة والأبطحة الضيقة كما تنشب الحية بدون خوف لاحتمالية شن الغارة عليهم من فوق. فهو الذي كان يسوق كتائب جرارة كأجنحة العقبان في السهول والهضاب بدون تضجر لحر

الشمس ودهشة لكثرة العدى المقابلين. ثم قام بتكرار «ما شهدت» مرتين ليشير إلى عدم إمكانية استبداله بالغير في الظروف المشابهة للأبد:

فما شهدت يومُ النقا خيل هاجرٍ ولا السيدَ إذ يبطحن بالأُسل السُّمرِ

ولا شهدت يوم الغبط مجاشعَ ولا نقلان الحيّ من قُنّتَي نسرِ

(أبو عبيدة، 2003م: 24)

ونجد الاستشهاد بأروع صور التكرار الحجاجي أثناء شواهد أبي عبيدة حيث تكررت لفظة الغضا وهي ضرب من شجر البراري فتعذر قبولها جميع الأعاريب كونها منقوصة فتثبت شكل اللفظة مجروراً ومرفوعاً مثل دوام الشجرة في الصحراء عل هيئة ملياً. ثم يتمنى الشاعر الراثي على نفسه خيالياً لو لايراه ركب الأحبة متوفياً. فيتمني كذا لو يمكن الشجرة – على الأقل – أن يماشيَ الركب القادم بديلاً من جثمانه المرتقد بين الرفاد ليدل على التضجر من وحشة القبر – أو ربما من فقد الأحبة – فهو أيضاً بمنزلة الموت المؤبد في رأيه – على أرقى الوجوه الميسرة:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بجنب الغضا أزجي القلاص النواحيا

فليت الغضا لم يقطع الركبَ عرضَهُ وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

(المصدر نفسه: 172–173)

وبعد فنجد في موقف آخر حكاية ما لقت امرأة تدعى الشموس التي خرجت إلى قومها دامية الجسم ممزقة الثياب في منظر منها بشع فتحث قومها على النقمة لسبب ما فعلوا بها عروساً فتكرر الأمر بالموت ثلاث مرات بدلاً من قولها : فثوروا كراماً أو قاتلوا عدوكم ... لتؤكد على فظاظة الجريمة فاستحقاق من يشاهد هذا العار أو يسببه بالموت سوياً لشدة الحزن أو الخزي أو الخوف فلايجدرها من رد سوى الموت :

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوّكم ودبوا لنار الحرب بالحُطب الجزلِ

وإلاّ فخلّوا بطنها وتحمّلوا إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزلِ!

(المصدر السابق: 228)

4. 4. الحجاج بالالتفات :

وهو عند القدامى انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار وما يشبه ذلك. وقد تسع دائرة الإلتفات بأنه: العدول من أسلوب في الكلام من أسلوب إلى أسلوب أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد فقط ليجلب انتباه السامع وقد أنس على نظم الكلام الأول فيأتي بتعبير جديد لايتوفعه من قبل، فهو طريقة للضغط على المخاطب ولفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة للرسالة. فللإلتفات وظائف حجاجية شتى منها :

- ✓ إثارة المتلقي ولفت انتباهه .
- ✓ تقوية الحضور بواسطة الضمير أو الزمن .
- ✓ إثارة التشنيع على الخصوم وإشهاد السامعين والقرّاء على فساد صنيعهم .

فيعتري الإلتفات صبغة المبالغة أيضاً، لإنه يذكر لغيرهم خصالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح.

ومن مواطن الإلتفات في شواهد أبي عبيدة فيجدر الإشارة إلى التفات جميل من الغيبة إلى الخطاب ومن الإخبار إلى الشرط معاً عند نقله عن المتلمس ، إذ يضاهي بكرمه عند الملوك فيحاجّ خصمه حارثاً ألاّ يحاول إثارة غضبهم أثناء هزواته عن نسبه. فإنهم يستنزفون العدى بشكل لايبقى من دم في جسمهم وفيه مبالغة أيضاً:

ومن كان ذا عِرضٍ كريمٍ فلم يصُن ... لهُ حَسباً ، كان اللئيمَ المذمّما

أحارثُ إنا لو تُشاطُ دماؤنا ... تُزيلَن حتى لايمسُّ د مٌ دما

(أبو عبيدة، 2003م: 118)

5. الآليات البلاغية الحجاجية :

يُعد القرآن الكريم الكتاب الأول عند المسلمين ، ويمثلُ الاحتجاج به من أقوى الحُجج الدامغة بينهم؛ لذلك نرى الشعراء بعد الإسلام يكثرون من الاحتجاج بالقرآنِ الكريم ويستشهد به في كثير من الأحوال . فلا يفارقُون الألفاظ القرآنية حتى في موقف الهجو والتي استعملوها كحُججٍ تحط من شأن المهجو. فيتمثلُ الحِجَاج بالحديثِ النبوي الشريف عِند المسلمين عامة حجة قويّة كالقرآنِ ، وبما أنّ المسلمين مأمورون بالتّأسي والاقتداء بنبيهم

(صلى الله عليه وآله) فهو يشكّل لهم مرجعاً في ذلك؛ ويعودُ ذلك إلى قول الله عز وجل في رسولهِ محمد (صلى الله عليه وآله) : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم : ٣- ٤).

وبعد فتعمل كل آلية من الآليات البلاغية على زيادة إثراء المخاطب بقيم حجاجية فتكون بصورة دليل أو كشاهد يحتج به في العملية الإقناعية، وباعتبار أن البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها علم البيان أي: العلم الذي يقدرنا على التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، فيحتوي علم البيان على صور بيانية وفي مقدمتها الإستعارة، فهي من أكثر الآليات خدمة للحجاج لأنها ادعاء تحول جنس المستعار له في جنس المستعار منه، وفي ذلك اثبات وتقرير يجعلها صعبة الدحض، وبغموضها فهي أقوى من التصريح. والحجاج بتشبيه فهو إلحاق أمر لأمر آخر في صفة أو أكثر وإثبات حكم له ادعاءً بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة. أما الكناية فقد قال عنها الجرجاني (د.ت: 54): «فأن إثبات دليلها بما هو شاهد في وجودها أكدً وأبلغ من الدعوة بأن يجيء إليها هكذا ساذجاً غافلا». فيرى الجرجاني أن للكناية دور في إثبات المعنى والإقناع حيث استعمل القولُ غير الصريح والمخفي، بدلالات غير واضحة، وهذا ما يدفع بالمرسل إليه البحث وراء المقصود من الكتابة. وأما علم المعاني فهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليُحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق على ما يقتضي الحال ذكره. فانقسم إلى ثمانية أبواب وأولها أحوال البناء الخبري، وثانيها أحوال المسند إليه، وثالثها أحوال المسند، ورابعها أحوال متعلقات الفعل، وخامسها القصر، وسادسها الإنشاء، وسابعها الفصل والوصل، وثامنها الإيجاز والإطناب. ومن الإنشاء هناك الطلبي، والذي يتضمن أساليب عدة كالاستفهام، والتمني، والأمر، والنهي.

5. 1. الحجاج البلاغي بعلم البيان :

البيان لغة هو الوضوح والكشف والظهور، كما ورد في قولهِ تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨). وهذا ما يربطه بالحجاج، فكلما كان البيان أوضح في أبيات الشاعر، كلما كانت الحجة أبين على المتلقي وخاصة أذا تنوعت الحجج بمختلف الأشكال، وهذهِ هي الصلة الوثيقة بينهما. فشاعر يشبه ويُكني ويستعير حتى يصل إلى مبتغاه في أيصال الحجج إلى المتلقي متكئاً على علم البيان. وأما اصطلاحاً فيُعرف علم

البيان بانهُ « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه» (السكاكي،1407هـ: ١٦٢). وعُرِّف في موضعٍ آخر: «هو علم يبحث في الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد، وعلم المعاني يتألف من المباحث التالية: ١- التصريح والمداورة؛ ٢- التشبيه؛ ٣- المجاز والمجاز المرسل؛ ٤- الاستعارة؛ ٥- الكناية» (الخطيب القزويني، ٢٠١٠م: ٥). والسيد الهاشميّ عرف البيان: «هو الكشف والإيضاح، وفي اصطلاح البلغاء: أصولٌ وقواعدُ يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بِطرُقٍ يختلِف بعضُها عن بعض في وضُوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بُدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً» (د.ت: ٢١٦). فنوه كثير من علماء البلاغة بمكانة علم البيان البارزة من أمثال عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه) حيث يقول في لزوم التعرف عليه لفهم المعنى المكتوم خلال مجموعة من الألفاظ: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده [..] وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل» (الجرجاني، د. ت: ٢٦٢).

5. 1. 1. الحجاج البلاغي بالتشبيه :

فالتشبيه لغة هو:«شبه يدلُّ على تشابُه الشّي وتشاكُله لوناً ووَصْفا. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَه من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب. والمُشَبِّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ ، إذا أشْكَلا» (ابن فارس، ١٩٧٩م: مادة « ش ب ه »). فتكمن بلاغة التشبيه بقولِ الخطيب القزويني : «فاعْلَمْ أنه مما اتفق العقلاء على شرف قَدْرِه، وفخامة أمرِه في فنِّ البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به – يُضاعِف قُواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذمّاً، أو افتخاراً، أو غير ذلك » (٢٠١٠م: ١٦٤). ويتمثل ذلك في قولِ السيد الهاشمي : «إن للتشبيه موقعاً حسناً في البلاغة – وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويسكبها توكيداً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً» (د.ت: ٢١٩). وهذا مَا نحتاجه فِي الحِجَاجِ البيانيّ ؛ كي نخرجُ بشعرٍ بلاغيّ يبينُ الحقَ، ويجحدُ الباطلَ بالأدلةِ، والبراهينِ، والبيانِ والتوضيحِ ، وهناك صلة قوية تربط بين الحجاج والتشبيه تكمن في أنه كلما كان التشبيه أبين وأجمل وبسياق شعري محبب للنفسِ،

كلما كانت الحجة مؤثرة في إقناع الآخرين. وقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها كما شبهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما. إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول، وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه ، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب ، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب أو شبهة.

ومما نقله أبوعبيدة عمن يرثي مقاتلاً بأنه لم يمت في فراش الموت ويعد ذلك من مفاخره له وأسباب غرة جبينه بالنسبة لمن مات في الوسادة فيشبه لمعان جبينه وابيضاضه بتلألؤ السيف المصقل لملائمته:

فخرٌ على الألاءة لم يوسّد　　كأن جبينه سيف صيقل

(أبو عبيدة، 2003م: 23)

ثم يشير إلى حادثة سد مأرب .ما لها من آثار كبيرة في كيانات الأيام التي في حركة الهجرة الكبرى بشمال الجزيرة وكانت بداية لتاريخ المستعربة. ومن قدومهم نشأ يوم اليمامة وأيام الأوس والخزرج. ومن المجاجرين كانت الطيئ وتسكن وادياً يدعى طريباً. وقال شاعرهم يومئذ لوصف صروف الدهر:

اجعل طريباً كحبيبٍ يُنسي　　لكل قومٍ مصبحٌ ومسىً

(المصدر نفسه: 93)

فيشير إلى مراثي الخنساء لأخيه صخر فتشنده باسلاً كريماً بقولها:

وإنّ صخراً لتأتمّ الهدة به　　كأنه علمٌ في رأسه نارُ

ولاتراه وما في البيت يأكله　　لكنه بارز الصحن مهمارُ

مثل الردينى لم تنفذ شبيبتُه　　كأنه تحت طي البرد أسوارُ

(المصدر السابق: 291)

ومنه قول الشاعر لبعض الملوك مدحاً وتبجيلاً له:

بأنك شمس والملوك كواكبُ　　إذا ظهرت، لم يبد منهن كوكبُ

(أبو عبيدة، 2003م: 294)

5. 1. 2. الحجاج البلاغي بالكناية :

جَاء فِي لسانِ العرب: «كنيّ والكُنْيَةُ على ثلاثة أَوجه: أحدها أن يُكْنَى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره، والثاني أَن يُكْنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً، والثالث أَن تقوم الكُنْيةُ مَقام فيعرف صاحبها بها. وقال الجوهري: والكُنْية والكِنْية أَيضاً واحدة الكُنى، واكتَنى فلان بكذا. والكناية: أن تتكلم بشي وتريد غيره» (ابن منظور، ١٩٩٩م: مادة« ك ن ي»). وتتمثل الكناية على أنها:« لفظٌ أُطْلِقَ وأُريدَ به لازمُ مَعْناهُ مَعَ جَوَاز إِرادةِ ذلك المعنَى» (الجارم، وأمين، ١٤٣٤ه : ١٤٣). وللكناية بلاغة لابد أن نعَرفُ بلاغتها وما تُلقي من أثرٍ في نفسِ السامعِ فلها:« مَظْهَرَ من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصل إِليها إِلا من لَطف طبعُه وصَفت قريحته، والسِّر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعطِيكَ الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية في طَيِّها وبُرْهَانُها ... ومن أسباب بلاغة الكناية أنها تَضَع لك المعاني في صور المُحَسّات، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون فإن المصوِّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بَهرَك وجَعَلك ترى ما كنت تَعْجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً... ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِي غُلتك من خصمك من غير أن تجعل له سبيلاً؛ ودون أن تَخْدِشَ وجه الأدب» (المصدر نفسه: 150).

إنَّ الكنَايةَ بمُختلف أنوَاعها لهَا أساليب تحقق أهدَاف لغوية وَفكرية وفنية يُمكن تجسيدها بأنَّ هذَا الفن البلاغيّ يتميزُ بحسنِ التعبيرِ وعمق التَأثير، وهذَا مَا نُريدهُ مِن هذَا العِلم؛ للكشفِ عن الحِججِ بالأدلةِ والبرَاهينِ الْبلاغية المؤثرة في المتلقي، وهناك روابط قوية جداً تربط بين الكناية والحجاج، كما وضحه العلماء في أعلاه، فالكناية تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليل. والدليل هو نفسه الحجة المقامة على الأعداء والمعاندين.

فيشير أبو عبيدة إلى سوء حال أهل الحديث وأهل الشعر في عهد الرسول (ص) لتحرجهم وخوفهم من الوضع والكذب حتى في زمن حياته (ص) بمدة قصيرة فكيف بعد موته. وكان منهم من يكثر في إنشاد الشعر ويمتنع عن الحديث ابتغاء المندوحة عن الكذب في الأعاريض. فتركوا أهل الحديث ضجراً منهم فتحولوا إلى الشعر القديم. فيشتم واحداً منهم أحد المحدثين بقوله مشيراً إلى تداول محادثة ديار الأحبة في القديم وتركهم محادثة الرسول (ص) حالياً على سبيل التهكم والتوبيخ بقوله:

واستعجمت دراميٌّ، ما تكلِّمُنا والدار لو كلّمتنا ذات أخبار!

(أبو عبيدة، 2003م: 47)

وبعد فيشير أبوعبيدة إلى وصف شاعر لابن الملك عمرو بن هند الأخير قتيلاً عارياً مسلوباً يوم أوارة فيشير إلى عرى جسمه غير مباشر مواسياً له ومراعياً للشئون الملوكية وقد يكون غرضه إثارة الملك على الخصم التميمي - ويدعى زرارة - أيضاً فوصفه بالوفاء ورد االجميل تهكماً:

هـا إنّ عـجـزة أمّـه ... بـالـسـفـح أسـفـلَ مـن أوارة
تسفي الرياح خلال كش ... حـيـه وقـد سـلـبـوا إزارهِ
فـاقـتُـل زرارة لا أرى ... فـى الـقـوم أوفـى مـن زرارة

(المصدر نفسه: 116)

فيشير إلى اندراس ثوب العبيد رمزاً لاسترقاقه عندما يرثي الحطيئة بطلاً كريماً يدعى قيس بن زهير يلبس جثمانه بالياً بعض أيام داحس والغبراء، فيدعى أنّ ذلك لا عيب عليه لأنّه كان مشتهراً:

إنّ قـيـسـاً كـان مـيـتـتُـه ... أنـفـاً، والـحـرّ مـنـطـلـقُ
شام ناراً باللوى اقتدحت ... وشجاع البطن يختفقُ
فـي دريـس لايـعـيـبـه ... ربّ حـرّ ثـوبُـه خـلَـقُ

(المصدر السابق: 241)

5. 2. الحجاج البلاغي بعلم المعاني :

وهو: «تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره» (السكاكي،١٩٨٣م:١٦١). وعُرِف علمُ المعانيّ أيضاً بانهُ «أصول وقَوَاعِدُ يُعرف بها كيفيةُ مُطابقة الكلام لِمقتضى الحال بحيث يكون وِفق الغرضِ الذي سِيق له [..] وقال بعض العلماء: المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم، خفية بعيدة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، إلا بالتعابير التي تقُربها من الفهم، وتجعل الخفي منها ظاهراً والبعيد قريباً فهي تخلص المتلبس، وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً والوحشي مألوفاً (الهاشمي، د.ت: ٤٦).

5. 2. 1. الحجاج بالأمر :

من أروع مستشهدات الحجاج الأمري في كتاب أبي عبيده هي نقله عمن يذهب إلى ضرورة مغادرة الدنيا وغروها لأنها تزين السوء وتستقبح الجميل حقاً بديلاً من التحسر على الأخرين وتنكيل الحقد بهم وما أتاهم الدهر أحياناً في أسلوب الإلتفات من الغيبة إلى حديث نفسه بعد مشاهدة صروف الدهر والوصول إلى مبدأ عام في سلوكه الذي تبين في إطار جملة شرطية. فيجب خداع الدهر كما ينخدع هو ويتظاهر بالخلود والفرح الدائم بلا مصاب للآخرين فقط، فلا يحق المرء خذلان الحق والكشح عن الكفاح لأداءه مخافة الضرار أبداً حسبما ينشد بقوله:

ولا خير فيما يكذب المرء نفسه وتقواله للشيء: يا ليت ذا ليا

وإن أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرئٍ فدعهُ وواكل حالَه والليالي

(أبو عبيدة، 2003م: 174)

فنجد أن الشاعر يرثي نفسه قتيل الوغى وعند ابنته الباكية خيالياً فيكفها أمراً ويدل ذلك على استعلاء مكانته فيقارنه التواسي والأسى لوشيك فقدها الصارم وعجزه عن مواصلة الحياة معها طبعاً ويصف دواخل هذه النفس الإنسانية في أشد حالات عذابها:

اسكتي قد حززتِ بالدمع قلبي طالما حزّ دمعكنّ القلوبا

(المصدر نفسه: 217)

فيشير إلى قول الشاعر حيث ينفذ الأسود بن غفار خطته بالملك وأعوانه ويبيّدهم، فيقول الأسود في ذلك مستخدماً أسلوب الأمر تهكماً منه حيث أن الملك بعلو مكانته المزعوم عند نفسه كان يحسب أنهم لن يعتدوا عليه. فها هو الشاعر يصدر الأمر ضدّه بعد القضاء عليه نافذ الصبر فاتكاً مغاضباً:

ذوقي ببغيك يا طسمٌ مجلّلةً فقد أتيتِ لعمري أعجبَ العجب

إنّا أبينا فلم تفتك، نقتّلُهم والبغيُ هيج منا سورة الغضب

(المصدر السابق: 230)

5. 2. 2. **الحجاج بالنهي :**

النهي هو طلب الكف عن عمل ما وهو على وجه الاستعلاء ؛ وقد يخرج من معناه الحقيق ليدل على الدعاء والتمني والتوبيخ والتهديد والمعاني الأخرى التي وردت في المصادر البلاغية .

فيروي أبوعبيدة فضيحة اعترت بعض الفرسان وقد حلّ حاناً تخدمها غانية فوصل البطل إليها عند رجوعه من بعض الأيام لينتعش قواه نزراً. فاندست الغانية ضده لتنشغل به فصكت الباب وراءه وأشربته نهلاً فافتقد تماسكه مغفولاً عندها بحيث لم يتمكن من ركوب الفرس سوياً إذا غادرها بعده. فذاعت الفضيحة أرجاء الأرض. فقرر أن يبرر نفسه على أنّه لايتلك على أمره آنذاك لسبب انشغاله عن نفسه. فيبدأ محجته معتذراً فموعداً المستهزئين إذا لم يكفوا عن عبث المقال بأسلوب النهي فينشد قائلاً:

ألا لاتلوماني، كفى اللؤم ما بيا فما لكما في اللؤم نفعٌ ولا ليا

(أبو عبيدة، 2003م: 156)

فيأتي أبوعبيدة بالإعتذار نافياً في موقف آخر كذا وحيث يحتج رجل نفرت ناقته بعض الأيام عند قبر ربيعة بن مكدم وكان الأخير فارساً مكرماً ويدأب على بيع الخمور أيضاً. فقال يرثي الراقد الكريم ويعتذر ألا يكون عقر ناقته عند هذا القبر هفواً فيستحق هذه الناقة العصية أن يقتل وتحدقت جثته إلى كوكب العرقوب بنفس المكان ولكنه يحتاج إليها للسفر ومشاركة الحروب، فيذكر كله بقوله:

نفرت قلوصي من حجارة بنيت على طلق اليدين وهوبِ
لاتنفري يا ناقِ منه فإنه سبّاء خمرٍ مسعر لحروب
لو لا السفارُ وبعد خرق لتركتها تحبو على العرقوبِ

(المصدر نفسه: 157)

5. 2. 3. **الحجاج بالنداء :**

النداء للتصويت بالمنادي ليقبل، أو هو طلب اقبال المدعو على الداعي. فقد يخرج النداء إلى اغراض مختلفة منها: الاغراء، والتحذير، والاستغاثة، والندبة، والتعجب، والاختصاص، والتنبيه، والتحسر.

فيشير أبوعبيدة إلى النداء لغرض التحذير والإنذار عمن قال في يوم البسوس حيث يحذر الملك عن مواصلة الإعتداء على عقارهم ويدعوه أن يكف عن قتل أهلها ونهبها، فيصف غيضهم المأمول عليه مما لم يلقه الملك أبداً ولا يقاس بما يحسبه قساوة منه لأنهم لايحرمون قتل الملوك قدسية. فينشد بقوله:

أبا منذرٍ! أفنيت، فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهونُ من بعض

(المصدر السابق: 96)

فيوجه الشاعر كليباً شتيمته المباشرة في موقف آخر من الكتاب داعياً إياه أن يكف عن الشر والبغي يوم البسوس ويعتبر بمصيرة الماضين فينشد قائلاً:

أكليب ما لك كلَّ يوم ظالما والظلمُ أنكدُ وجهه ملعونُ

إفعل بقومك ما أراد بوائلٍ يوم الغدير سميّك المطعونُ

وإخال أنك سوف تلقى مثلها في صفحتيك سنانها المسنونُ

(أبو عبيدة، 2003م: 254)

فيشير إلى رثاء نايحة لأحد الفرسان قائلة عن سجاياه:

أشاب قذال الرأس مصرعُ سيدٍ وفارس هبود أشاب النواصيا

(المصدر نفسه: 282)

الخاتمة والنتائج :

من أهم النتائج التي تم الحصول عليها عبر دراسة الأساليب البلاغية الداعمة لطاقات الكلام الحجاجية فش شعر الحرب في العصر الجاهلي من خلال كتاب أيام العرب لأبي عبيدة ، هي :

1. إن الحجاج البلاغي يظهر بشكل واضح لدى الشعراء والأدباء أصحاب المواقف الثابتة لأنهم دائماً بحاجة للحجج والبراهين لتأييد مواقفهم عند الآخرين. فتعد الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية بهدف الإقناع ضمناً.

2. تنقسم آليات الإقناع إلى قسمين: أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، والقسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية.
3. إن استخدام الجمل والأساليب المختلفة أثناء الكلام – مثل التوكيد، والإلتفات، والتكرار، وغيرها – فليست الزيادة في اللفظ فقط، وإنما هي محاولة للتأثير في المقام وما ينتج عنه من طاقة حجاجية فتأتي الأساليب الحجاجية.
4. يوجد التأكيد الحجاجي في شواهد أبي عبيدة حيث ينوه الشاعر بباسلة الفرسان في ساحة الحرب ورغبتهم الغزيرة بأن يرثي على نفسه خيالياً حين تقتله الأيام مصرعاً حيث يبكي الحبيب على جثته؛ فحيث يحذر الشاعر المعتدين على أرضهم للنقمة أو النهب – فيحذر الملوك خاصة وهم يخالون عدم فتكهم قدسية – مشيراً إلى مصيرة من ماثلهم اعتباراً.
5. يأتي أسلوب الشرط ليمثل ضرباً من التلازم بين الحجة والنتيجة. فلا يسمح الخصم باستمرارية جدله أو إعادة بناء الدعاوي لافتراض وقوع الدعوى فعلاً فترتب النتيجة عليها وإثبات فساد مزاعمه. فيشير أبوعبيدة إلى مقاتل بشعة أجريت في بعض الحروب لتهجين الهجو. حتمية فيؤكد بالشرط على مصائر الموتى وإن كانوا صرعى الوغى تهويناً لمخاوفهم.
6. إنّ الشاعر يشبه ويُكني ويستعير حتى يصل إلى مبتغاه في إيصال الحجج إلى المتلقي متكئاً على علم البيان. فنقل أبوعبيدة عمن يرثي مقاتلاً بأنه لم يمت في فراش الموت ويعد ذلك من مفاخره له وأسباب غرة جبينه بالنسبة لمن مات في الوسادة. فيشبه لمعان جبينه وابيضاضه بتلألؤ السيف المصقل لملائمته. فيشير إلى مراثي الخنساء لأخيه صخر فتشنده باسلاً كريماً ومواقف أخرى لتكريم الممدوح.
7. يشير أبو عبيدة إلى استخدام الكناية لبيان سوء حال أهل الحديث وأهل الشعر في عهد الرسول (ص) لتحرجهم وخوفهم من الوضع والكذب فتركوا أهل الحديث ضجراً منهم فتحولوا إلى الشعر القديم. فيشتم واحداً منهم أحد المحدثين بقوله مشيراً إلى تداول محادثة ديار الأحبة في القديم وتركهم محادثة الرسول (ص) حالياً على سبيل التهكم والتوبيخ. وبعد فيشير إلى وصف شاعر لابن الملك عمرو بن هند الأخير قتيلاً عارياً

مسلوباً يوم أوارة فيشير إلى عرى جسمه غير مباشر مواسياً له ومراعياً للشئون الملوكية فوصف ضاربه بالوفاء ورد الجميل تهكماً له وللإثارة عليه.

8. يروي أبوعبيدة مستخدماً أسلوب النهي بين شواهده فضيحة اعترت بعض الفرسان بحيث لم يتمكن من ركوب الفرس سوياً إذا غادر الحان بعده. فقرر أن يبرر نفسه على أنّه لايمتلك على أمره آنذاك لسبب انشغاله عن نفسه. فيبدأ محجته معتذراً فموعداً المستهزئين إذا لم يكفوا عن عبث المقال بأسلوب النهي.
9. يشير أبوعبيدة إلى النداء لغرض التحذير والإنذار حيث يحذر الملك شخصياً عن مواصلة الإعتداء على عقارهم ويدعوه أن يكف عن قتل أهلها ونهبها لأنهم لايحرمون قتل الملوك قدسية. فيشير إلى موقف آخر يوجه الشاعر كليباً شتيمته المباشرة داعياً إياه أن يكف عن الشر والبغي يوم البسوس ويعتبر بمصيرة الماضين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم .

1. ابن الأثير، ضياء الدين (1939م). المثل السائر. تحقيق: محمد محيي عبدالحميد، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
2. _____، (1982م)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر.
3. بوزناشة ، نور الدين ، (2016م) . الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي : دراسة تقابلية مقارنة ، د . م: منشورات جامعة محمد لمين دباغين.
4. الجرجاني، عبدالقاهر (د.ت). أسرار البلاغة. ط2. تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.
5. الجرجانيّ، عليّ بن محمد الشريف (1985م). كتاب التعريفات. بيروت : مكتبة بيروت.
6. ابن جني ، أبو الفتح عثمان [ت ٣٩٢ ه]، (د.ت) . الخصائص ، المحقق: محمد علي النجار، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
7. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت ٧٣٩ه) ، (2010م) . الإيضاح في علوم البلاغة ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، بيروت: دار الجيل .

8. الذارحي، أمة الكريم والآخرون (1391ش). «بلاغة الحجاج في شعر الحسن بن علي الهبل أمير شعراء اليمن». الأدب العربي، العدد الثاني، السنة الرابعة. ص 275 – 306.
9. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦ه) ، (1407ه) . مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية.
10. الطلبة، محمد سالم الأمين، (2008م)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بيروت: دار الكتاب.
11. ابن ظافر الشهري ، عبد الهادي ، (2004م). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بنغازي: دار الكتب الوطنية .
12. عبد الرحمان، طه، (1998م). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المغرب: الدار البيضاء.
13. أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التميمي ، (2003م). أيام العرب قبل الإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة : عادل جاسم البياتي، بيروت : عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .
14. الفريح ، انتصار ، (2020م) . الحجاج في شعر عروة بن الورد: دراسة وصفية ، مجلة كلية الآداب . جامعة بني سويف. العدد 54 ، ص 171 220.
15. مدقن، هاجر، (د.ت)، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، بيروت: دار الجيل.
16. الهاشمي، أحمد (ت ١٣٦٢ه)، (د.ت) . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، بيروت : المكتبة العصرية.

List of Sources and References

The best place to begin is with the Holy Qur'an .

1. Ibn al-Athir, Diya' al-Din (1939). The Common Proverb. Edited by Muhammad Muhyi Abd al-Hamid, Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi Press.
2. _____, (1982). Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), Beirut: Dar Sadir.
3. Bouznasha, Nour al-Din, (2016). Argumentation between Arabic Rhetorical Studies and Western Linguistic Studies: A Comparative Study. ed.: Muhammad Lamine Debaghine University Publications.

4. Al-Jurjani, Abd al-Qahir (n.d.). Secrets of Rhetoric. 2nd ed. Commentary by Muhammad Rashid Rida, Dar al-Ma'rifa, Beirut.

5. Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad al-Sharif (1985). The Book of Definitions. Beirut: Beirut Library.

6. Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman [d. 392 AH], (n.d.). Al-Khasais, edited by Muhammad Ali al-Najjar, Cairo: Egyptian General Book Authority.

7. Al-Khatib al-Qazwini, Muhammad ibn Abd al-Rahman ibn Umar (d. 739 AH), (2010 AD). Al-Idah fi Ulum al-Balagha, edited by Muhammad Abd al-Mun'im Khafagi, 3rd ed., Beirut: Dar al-Jeel.

8. Al-Dharhi, Ummat al-Karim wa al-Akhirun (1391 AH). "The Eloquence of Argumentation in the Poetry of al-Hasan ibn Ali al-Habal, Prince of Yemeni Poets." Arabic Literature, Issue Two, Year Four, pp. 275-306.

9. Al-Sakaki, Yusuf ibn Abi Bakr ibn Muhammad ibn Ali al-Khwarizmi al-Hanafi Abu Ya'qub (d. 626 AH), (1407 AH). Miftah al-Ulum, edited, annotated, and commented on by Na'im Zarzur, 2nd ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. 10. Al-Talaba, Muhammad Salim Al-Amin (2008). Argumentation in Contemporary Rhetoric, Beirut: Dar Al-Kutub.

11. Ibn Dhafer Al-Shihri, Abdul Hadi (2004). Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Benghazi: National Library.

12. Abdul Rahman, Taha (1998). The Tongue and the Balance, or Mental Multiplication, Morocco: Casablanca.

13. Abu Ubaidah, Muammar ibn Al-Muthanna Al-Tamimi (2003). The Days of the Arabs Before Islam, compiled, edited, and studied by Adel Jassim Al-Bayati, Beirut: Alam Al-Kutub for Printing, Publishing, and Distribution.

14. Al-Furaih, Intisar (2020). Argumentation in the Poetry of Urwah ibn Al-Ward: A Descriptive Study, Faculty of Arts Journal, Beni Suef University. Issue No. 54, pp. 171-220.

15. Madqan, Hajar (n.d.), Argumentative Discourse: Its Types and Characteristics: An Applied Study in Al-Rafi'i's Kitab Al-Masakin (The Poor), Beirut: Dar Al-Jeel.

16. Al-Hashemi, Ahmad (d. 1362 AH), (n.d.), Jewels of Eloquence in Meaning, Rhetoric, and Poetics, Edited, Proofread, and Documented by Dr. Youssef Al-Sumaili, Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya.